

تاريخ اللغة العربية في إفريقيا Arabic Language History in Africa

أستاذ مؤقتة (ة)، د/ حفيظة بشارف

جامعة د/ الماهر مولاي- سعيدة، الجزائر

Hafidabecharef169@gmail.com

06.69.89.09.34



اللغة هي الكائن الحي المساعد على التواصل و منها العربية التي لها جذور في القارة الإفريقية بفعل الهجرات والرحلات وانتشار الإسلام، لكن الاستعمار و العولمة حاربها فتراجعت واليوم يشهد العالم الإسلامي انتفاضة لإعادتها إلى ما كانت عليه .

الكلمات المفتاح : لغة ؛عربية؛ إفريقيا ؛ انتشار؛ تراجع.

Abstract: Language is a means of communication just as the arabic language which has some roots in africa coming from the impact of trades and dynvasions, and the spread of the islamic religion, but it was fought by colonialization and globalization ,and now aday the islamic world wants to revive.

Keywords: language ; arabic ; africa ; spread ; decrease.



أولا. المقدمة:

اللغة هي ذلك الكائن الحي، المماثل لعوارض الصحة والسقم والنمو والقوة والضعف والموت والنزوال، هي الطريقة المثلى للتواصل بين الشعوب و الناس على اختلاف الأصول و العرقيات ويعرفها ابن الجني بقوله إنها أصوات يعبر بها الناس عن أغراضهم، بما فيها اللغة العربية التي تعتبر إحدى اللغات العالمية الرسمية المعترف بها لدى الأمم المتحدة، وهي اللغة الرسمية في جميع الدول العربية، تعد من أقدم اللغات المعاصرة ولا تمثل منطقة معينة، فقد كانت اللغة الرسمية في الأندلس وإحدى اللغات الرسمية في آسيا الوسطى وبلاد فارس وأرمينيا والبلقان وماليك إفريقيا، أما الخط العربي فقد كتب به العرب وغير العرب، المسلمون وغيرهم.

يروم هذا المقال أن يجسد صورة عامة عن اللغات في إفريقيا، وإبراز تواصل انتشار اللغة العربية فيها، ثم أسباب تراجع هذه اللغة و التحديات التي تواجهها للبقاء.

ثانيا. اللغات في إفريقيا:

1. الفصائل اللغوية من حيث القرابة:

لطالما أدت اللغة دورا مهما في حياة الأمم وتاريخها، فلا وجود لها بغير اللغة، فهي وعاء الثقافة وأبرز تجليات الهوية، وتعددت في إفريقيا إذ يوجد بها ما يزيد عن ثلاثة آلاف لغة أصلية موزعة بين دول و أقاليم بتنوع الأجناس والقبائل. ويصنف بعض الباحثين هذه اللغات إلى فصائل و مجموعات لغوية كبرى وفق للقرابة وهذه الفصائل هي:¹

- فصيلة اللغات النيجرو كونغوية

- فصيلة اللغات الأفرو آسيوية

- فصيلة لغات الخويسان

- فصيلة اللغات النيلية الصحراوية

- فصيلة اللغات الآسترونيزية

وقد تعدت الدراسات حول اللغات في هذه القارة لأهداف عديدة منها الرحلة و المغامرة ،أو البحث في العلوم الطبيعية من نباتات و طيور وحيوانات أو للتبشير المسيحي،فكان تصنيف العالم ديتريش ويستمان² للغات الإفريقية في دراسة أنثروبولوجية للمجتمعات الإفريقية 1940 مرتبا فيها الأسر اللغوية الإفريقية.

2. اللغات من حيث التقسيم الاجتماعي:

منها :

أ-اللغات الكويسانية

ب-اللغات الزنجية و تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1-لغات السودان ، 2- اللغات الباييتوية ، 3-اللغات النيلية

ج-اللغات الحامية السامية و تنقسم إلى قسمين:

1-لغات حامية ، 2-لغات سامية

3. اللغات من حيث الامتداد الجغرافي:

كما تشير دراسات أخرى إلى أن أكبر اللغات في إفريقيا و أهمها تتمحور حول ست لغات أساسية هي:³

أ-السواحلية:و يمتد نفوذها من شرق إفريقيا إلى غربها و تعتبر لغة رسمية في العديد من هذه البلدان.

ب- الهاوسا: انتشرت في نيجيريا و الكامرون و النيجر و السودان و غانا

ج-اليوروبا: تكاد تنحصر في نيجيريا من حيث الاستعمال والانتشار

د-الفولانية أو البولارية: تستعمل هذه اللغة في غينيا والسنغال وسيراليون و غامبيا ومالي و بوركينافاسو والنيجر ونيجيريا والكامرون و التشاد وموريتانيا .

هـ-المانديتيكية: و هي أيضا لغة اتصال منتشرة في مالي و غينيا و ساحل العاج و سراليون .

ز-الولوفية: تنتشر بصورة كبيرة في السنغال و بعض دول الإفريقية مثل غامبيا و موريتانيا.

من خلال هذه التقسيمات نجد أن اللغات الإفريقية تعددت من مصنف لآخر، فالبعض قسمها باعتبار عدد الناطقين بها، وآخر يرى أنها مكتوبة وغير مكتوبة كما يرى آخرون أن بعضها مهدد بالاندثار لأنها تشكو غربة في مواطنها. لكن ما غاب عن هذه التصنيفات هو اللغة العربية، فهل هي حديثة الانتشار، هناك أم أنها شهدت تراجعاً ما.

ثالثاً. عوامل انتشار اللغة العربية في إفريقيا :

إن بوادر العلاقات بين الأفارقة و العرب قديمة جداً، فقد كانت طرق الاتصال بين شبه الجزيرة العربية وإفريقيا ميسورة بين طريق باب المندب و شبه جزيرة سيناء، كما كانت سواحل المحيط الإفريقية والعربية تمثل نقاط تواصل هامة بين الضفتين، و في وسط الصحراء لعبت الإبل دوراً في الاتصال البري مع جنوب الصحراء و شمالها، فقامت الصلات و توطدت العلاقات بحكم الجوار الجغرافي و بحكم التنقل و التجارة وكسب العيش أو الاستطلاع الجغرافي، و بهذا عرفت اللغة العربية طريقها إلى إفريقيا ما أدى إلى التأثير و التأثر بين الجانبين خاصة أن هؤلاء العرب كانوا أكثر تقدماً ورقياً من أهل البلاد الأصليين " وقد ظلت إفريقيا مرتبطة ارتباطاً قديماً بحضارة العرب قبل الإسلام وبعد انهيار سد مأرب هاجرت قبائل عربية من الجزيرة العربية عبر باب المندب إلى شرق إفريقيا واتجهت مجموعات منها عبر رحلة طويلة مروراً بالحيشة و السودان الشرقي و فزان و استقرت بغرب إفريقيا⁴ .

لكن هذه المحجرات و الرحلات لم تدعم إلا بانتشار الإسلام في هذه المنطقة، فقويت هذه الصلوات بعد ظهور هذا الدين الجديد وانتهى المطاف بنشأة مجتمع عربي إفريقي نتج عن التزاوج والتمزج الثقافي بين العرب والسكان الأصليين. وبما أن لغة هذا الدين هي العربية فقد عمت بوصفها رافد القرآن و حاملة للعلم و المعرفة، و لفترة ليست ببعيدة كانت العربية الأكثر استخداما في كثير من الدول الإفريقية التي اعتمدت الحرف العربي في معظم لغاتها و لهجاتها . " فانتشار اللغة العربية كان شيئا ملزما بالضرورة انتشار الدين الإسلامي فحيثما توجه الإسلام و استقر استقرت معه لغة القرآن التي هي أداة ضرورية لفهم الوحي و التنزيل عند المسلمين و ضرورية أيضا لأداء فضيلة الصلاة و حفظ السور و قراءة الأوراد "5 أما عن العوامل التي ساعدت على انتشار العربية نذكر :

1. العامل الديني :

أثرت عدة عوامل في انتشار وترسيخ اللغة العربية بين المسلمين من غير العرب، و أغلب هذه العوامل وأبرزها يعود إلى دوافع دينية نتيجة اعتناق هذه الشعوب لعقيدة الإسلام الناطقة بالعربية يقول ابن خلدون معللا ذلك " كما هجر الدين اللغات الأعجمية و كان له لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها فصار استعمال العربي من شعائر الإسلام و طاعة العرب و هجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار و الممالك و صار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم وصارت الألسنة الأعجمية دخيلة فيها وغريبة "6. فمعرفة العربية من الدين لذلك زاد إقبال الناس على تعلمها و وطدت أركانها وانصهروا فيها إذ لن يتمكن الإفريقي من فهم هذا الدين إلا إذا أخذ قسطا وافرا من اللغة العربية فهذا التعالي يقول: "إن من أحب الله أحب رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم و من أحب الرسول العربي أحب العرب و من أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم و العرب، و من أحب العربية عني بما و ثابر عليها و صرف همته إليها و من هداه الله للإسلام و شرح صدره للإيمان و أتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمدا صلى الله عليه و سلم خير الرسل و الإسلام خير الملل و العرب خير الأمم و العربية خير اللغات و الألسنة و الإقبال على تفهمها من الديانة، إذ

هي أداة العلم و مفتاح التفقه في الدين و سبب إصلاح المعاش والمعاد ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار ⁷ .

وكان الفضل في انتشار لغة الدين للفاتحين والطرق الصوفية و القوافل التجارية و العلماء والدعاة، فالفاتحون وعلى رأسهم عقبة بن نافع الفهري الذي تولى شمال إفريقيا مركز انطلاق الدعوة و أسلمت على يده عدة قبائل إفريقية منها غينيا وغانا والتكرو، ثم جاءت دعوات المرابطين " فقد شهد اعتناق الإسلام ازديادا كبيرا بعد استيلاء المرابطين بقيادة أبي بكر بن عمر على القسم الأكبر من إمبراطورية غانا و إسقاطهم عاصمتها سنة 1076 وأسلم ملوك غانا و عرف أهلها بعدئذ بحماسهم للإسلام و الدعوة له في غرب إفريقيا ⁸ .

و يرجع الفضل إلى تلك الفتوح في قيام ممالك إسلامية كممالك " غانا و مالي وصنغي وكانم برنو و وداي و باقرمي والفور وتقلي ⁹ ، فقد كان للعنصر المغربي و المشرقي و المحلي أيضا الدور الهام في نشر هذا الدين، فالأخير تمثل في أولئك الأفارقة الذين أحبوا هذا الدين و اعتنقوه طواعية لما وجدوا فيه عدل و إحسان و تكريم للإنسان، أما الثاني فتمثل في ذلك الخيط الرابط بين المشرق و المغرب لا سيما قوافل الحج و علماء المنطقة الذين كان إشعاعهم بارزا في أهل هذه المناطق كالإمام جلال الدين السيوطي ¹⁰ .

وأما الأول فله دور مهم في الوساطة بين هؤلاء و أولئك، فما كان الإسلام أن يستقر لولا وجود المغاربة من أبناء الشمال الإفريقي ولنا مثال في طارق بن زياد و عبد الله بن ياسين الجازولي داعية و الذي عهد لنفسه محاربا بالإضافة لنشر الدعوة و الإسلام السني الصحيح و محاربة البدع و الخوارج و يؤسس رباطه الذي أطلق عليه اسم " دار المرابطين ¹¹ .

أما بالنسبة للصوفية فتمثلت في السنوسية والزروقية والشاذلية والناصرية والتيجانية والقادرية والتي ساهمت في نشر هذا الدين وتعليم لغته من خلال علماء حملوا على عاتقهم هذه المسؤولية و نذكر منهم " الشيخ المختار بن أحمد الكنتي و عبد الكريم المغيلي فشيدت المساجد و بنيت الزوايا والمدارس القرآنية ودعت إلى التسامح الديني و إعتاق العبيد وتعليمهم مبادئ الدين ليعملوا على نشره بالطرق المذكورة آنفا.

وفيما يخص القوافل التجارية فقد عمل التجار على نشر هذا الدين وذلك عن طريق المراكز التجارية التي وصلت إلى غانا الوثنية وغيرها، كما عملوا أيضا على بناء المدارس والمراسي والمحاضر الدينية .

وإذا تحدثنا عن دور العلماء و الفقهاء فيتجلى ذلك من خلال التأثير المباشر بتواجدهم في أرض السودان* أو المحيء في المغرب أو غير مباشر بواسطة الكتب و المؤلفات ،وكانت رحلات العلماء إلى السودان الغربي طيلة عقود التاريخ الإسلامي بدءا من الجازولي إلى المورادي إلى السجلماسي إلى السيوطي و الدكالي .

وكان لعلماء توات خاصة أهل كتنة الفضل العظيم في إرساء قواعد هذا الدين ولسانه فنذكر منهم عبد الكريم المغيلي صاحب التصانيف والرسائل، كما كان من أوائل من رسموا خطوط السياسة الشرعية و إصلاح أمور المجتمع الدينية والتعليمية والثقافية وتكوين الأئمة والدعاة "فقد نجح هؤلاء في إدخال الناس في الدين الله أفواجا وقد أدى هذا إلى تكوين دولة إسلامية في مناطق كثيرة من القارة وبخاصة في غربها وذلك على أنقاض دولة وثنية"¹²

2. العامل اللغوي :

يعلل بعض الباحثين سبب انتشار العربية بصورة سريعة في أفريقيا إلى تشابها وقرابها من اللغات السامية في كثير من الميزات النحوية و الصوتية واللفظية و فقد كانت جنبا إلى جنب مع اللغات المحلية حتى إنها أضفت نوعا من الوحدة الثقافية بين مختلف القبائل و الأعراف الموجودة في القارة .وإذا عدنا إلى أصل السامية فإنها تنقسم إلى قسمين¹³ سامية غربية شمالية و سامية غربية جنوبية،هذه الأخيرة لغتين كما اللغة العربية و اللغة الحبشية " وهي اللغة التي تكلم بها سكان جنوبي شبه الجزيرة العربية حيث انتقلوا عبر بحر العرب والمحيط الهندي إلى الصومال و أثيوبيا بلاد الحبشة ،وقد اختلطوا بأهلها الحاميين و طغت لغتهم على لغة هؤلاء الأقوام وقد تمت هذه الهجرة إلى الحبشة قبل الميلاد بوقت طويل وتسمى لغتهم أيضا الجعزية نسبة إلى إحدى قبائل العرب..."¹⁴ هذا مثال عن الانصهار الذي ساد آنذاك بين اللغة العربية وغيرها،ويرى العالم الألماني شلوتر أن أصل اللغات يعود إلى سام وحام و يافت أبناء نوح عليه السلام "وقد ثبت أن هناك دراسات حديثة عربية و أوروبية تثبت إثباتا قاطعا خطأ استعمال المصطلحين سامي وحامي

وتصر على استبدالهما بعربي لأنه في نظر هؤلاء الباحثين أصل الساميين والحاميين واحد منبثق من أصل واحد الذي هو الأصل العربي¹⁵

3. العامل الحضاري :

بما أن اللغة العربية لم تسد في القارة الإفريقية بالقهر و الغلبة فإن سكانها احتضنوا هذه اللغة وأبدعوا بلسانها وتمكنوا من قواعدها، ولنا في ذلك أسماء كثيرة ولم يفتحوها عليها تعلموا و قراءة فحسب بل كانت العربية لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة الإفريقية كما قال : توماس أرنولد¹⁶ كما توسلوا بالحرف العربي في كتابة لغاتهم لاسيما الهوسا ولغة النورما والفلانية والسواحلية والأمازيغية وغيرها، وهذا ما سهل في انتشارها في ربوع القارة و"لقصر اللغات المحلية في إفريقيا قبل وصول الإسلام عن استيعاب المفاهيم الحضارية المختلفة كان من بين الأسباب الهامة التي فتحت الطريق أمام انتشار العربية في القارة"¹⁷.

وكان لاستخدام العربية حضور واسع وجلي على المستويات الثقافية و الحضارية سواء في شمال القارة حيث صنع العرب مع البربر مزيجا حضاريا خاصا عرف "بالمورية" أو في شرقها كما حدث في أثيوبيا وأرتيريا وكنيا ومدغشقر وعرفت المنطقة باسم "ساحل الزنج" وظهرت الممالك والدول الإسلامية من أشهرها (سلطنة شوا المخزومية 896-1285م) ومملكة (بات) التي ساهمت في نشر الإسلام والثقافة العربية في المناطق الساحلية والداخلية وبدأت معها موجة من الحضارة والرفي بعد الاستقرار العربي على طول الساحل الشرق إفريقي كان العرب العمانيون هم مادتها الأساسية¹⁸.

وبالإمكان ملاحظة الأثر العربي في البناء و العمارة و الطعام و العادات والتقاليد والأسماء، وعلى مستوى اللباس حيث يلحظ انتشار الدشداشة والكوفية العمانية، وفي الموسيقى نجد التأثير بفنون الطرب واستخدام آلات عربية كالعود والقانون.

ولكن مع دخول المستعمر القارة الإفريقية حدث تراجع في استخدام اللغة العربية فأول ما قام به الأوروبي بعد نهب الثروات محاربة اللغة العربية و تشجيع اللهجات المحلية للقضاء على أي أثر ثقافي عربي، وكذا لعزل الشعوب الإفريقية عن محيطها الطبيعي ومنع أي تقارب عربي إفريقي، ولم يؤد خروج المستعمر إلى عودة اللغة العربية و الحرف العربي لأنه أبقى على لغته وثقافته و سعى للحفاظ عليها بشتى الوسائل .

رابعا. أسباب تراجع اللغة العربية في القارة الإفريقية :

1. العامل الاستعماري:

إن اللغة هي لسان الأمة و هويتها وجوهرها ،فلا يمكن أن تنشأ دولة مستقلة لها سيادة و حضارة وثقافة دون لغة تميزها ،وقد حظيت الحضارة الإسلامية ببناء حضاري عريق في فترة الحكم الإسلامي لأن المسلمين عملوا على إعلاء شأن لغتهم .لكن مع الموجة الاستعمارية التي شهدتها العصر الحديث و التي لم تقم على الاستعمار السياسي والاقتصادي فقط بل تعداه إلى الدين واللغة،وقد صمد الأفارقة طويلا لكنهم انهزموا في آخر المطاف فقد تمكن الأوروبيون من إزالة دول و إمارات إسلامية من شرق القارة و غربها وطمس وجودها وذلك من خلال استبداد عسكري وديني صليبي حاملا معه الكنائس والمدارس والمراكز الصحية والاجتماعية والتعليمية ،كل هذا لمحاربة الإسلام و منع انتشاره و وصوله إلى قبائل القارة الإفريقية في الداخل ،ولم ترد هذه المحاربة إلا مقاومة في نفوس الأفارقة وزيادة تمسكهم باللغة العربية واعتبارها لغة مقدسة على المستوى الرسمي أو الشعبي فقد كانت لغة الدولة الرسمية ولغة الشعوب ،لهذه الأسباب حورت اللغة العربية وعمل المستعمر على تدميرها واقتلاعها من القارة كما اقتلعت من الأندلس واقتلع معها الإسلام وقد استعمل لذلك كافة الطرق و الوسائل منها :

-حضر استعمال العربية في كل المرافق الاقتصادية و الإدارية واستبدالها بلغة المستعمر .

- فرض الاستعمار في بعض المناطق الإفريقية قيود صارمة على دخول الكتب العربية إلى تلك المناطق .

-إلغاء الكتابيب و المدارس القرآنية حيث كانت منتشرة بكثرة في غرب إفريقيا .

-فرض ونشر لغة المستعمر كي تحل محل العربية مثل الانجليزية و الفرنسية و الايطالية والبرتغالية .

-تعذيب العلماء و المعلمين و قتلهم و نفيهم .

- كتابة اللغات الإفريقية بالحرف اللاتيني كاللغة السواحلية و لغة الهوسا بعد أن كانت تكتب بالحرف العربي .

وقد نبه اللغويون إلى خطورة هذا التعدد اللغوي و بينوا أنه يستلزم بالضرورة ضياع اللغة القومية التي هي إحدى مقومات الأمة الأساسية و مميزاتا²⁰،ولم يكن هذا التنبيه صادرا عن اللغويين و

العلماء فقط بل حتى الساسة والقادة رأوا أن تهميش اللغة الوطنية وفك الاستقرار اللغوي ناتج عن هذا التعدد القسري .

- تشجيع اللهجات المحلية للقضاء على أي أثر عربي ولعزل الشعوب الإفريقية عن بعضها البعض، فكما يرى النقاد أنه "يجب ألا يكون للمجتمع لغتان إحداهما كلامية أي عامية والأخرى مكتوبة أي فصحي لأن نتيجة هذه الحال أن اللغة المكتوبة تنفصل عن المجتمع فتصبح كأنها لغة الكهان التي لا تتلى إلا في المعابد و ينقطع الاتصال الفيزيولوجي بينها وبين المجتمع، ولهذا يجب أن تكون غايتها توحيد لغتي الكلام والكتابة فنأخذ من العامية أكثر ما نستطيع و نأخذ من الفصحي للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدهما"²¹.

وليس لتمزيق مجتمعات و تفتيتها أكثر من هذا فيحدث الاختلاف و التباعد بين الشعوب، بل حتى بين فئات الشعب الواحد .

2. العامل المعرفي:

- إظهار اللغة العربية بمظهر العاجز عن حمل العلم والمعرفة بكل أصنافها بعد أن كانت الرافد الأساسي لرقى هذه المجتمعات وحضارتها وكان التشنيع عليها " وشن حملات إعلامية وتضليلية لتشويهها وتغيير الأفارقة منها واتهامها بالعقم والتخلف ولا تصلح لمواكبة العصر ولا يمكن أن تساعد على تطوير هذه الشعوب التي يراد تحضيرها ومدنيتها في زعمهم ."²² وبالتوازي مع ذلك عرف حضور العربية بإفريقيا اندحارا كبيرا وسط مشهد لغوي حافل بأكثر من ألف لغة متداولة ويعكس ذلك الجانب المعقد الحامل لكثير من الإشكالات التي تجعل حياة اللغة العربية بإفريقيا عسيرة، كما عرفت تراجعاً حتى خلال المناطق التي كانت لغتها الأساسية (مالي، كينيا) التي تخلت عن العربية بعد ما كانت لغتها الرسمية في الماضي .

ومن جهة ثانية واجه غرب إفريقيا منذ ولوج الاستعمار مضايقات في كيانه و ثقافته، لأنه - الاستعمار- رأى أن زواله مرهون بتقدم اللغة العربية و أن الخطر آت من انتشاره في ربوع القارة، علما أن الثقافة العربية الإسلامية قد لاءمت بشكل كبير تقاليد الأفارقة الموروثة كما أنهم لم يتأثروا بأية حضارة وثقافة مثل الحضارة الإسلامية، فاتخذوها جزءاً من ثقافتهم و نتج عنها امتزاج

أدى إلى ظهور ثقافة عربية افريقية، لذلك لا بد من الوقوف أمام هذا المد الحضاري العنيف وذلك بتغلغل النفوذ الصهيوني تارة، و البعثات التنصيرية تارة أخرى وهو الحال في غانا²³

3. العامل الثقافي:

ولئن كانت هذه الأسباب التي أدت إلى انحسار وتراجع اللغة العربية في إفريقيا إلا أن هناك سبب جوهري يكمن في الوضع الحضاري والثقافي للعرب، ففي الوقت الذي كانت أوروبا تتقدم فيه وترسخ أقدامها في القارة، كان العرب في حالة من التأخر و التخلف الحضاري، وكان لهذا الأثر الكبير للدور الثقافي للعرب في المنطقة، كما أدى إلى فقدان الكثير من المقاطعات التي كانت تحت سيطرة اللسان العربي، فانتشار اللغة وتقدمها راجع إلى تقدم أصحابها وتفوقهم، فبعد أن كانت كل القارة مركز إشعاع لها انحصرت مراكزها في الأزهر الشريف وجامع الزيتونة .

ولم يكن التحدي للغة العربية عن طريق الاحتكاك الحضاري ولا الاستعمار ولا الامبريالية فقط، فقد جاءت العولمة لتضع تحديا آخر تمثل في سيادة لغة من لغات الدول المهيمنة في العلاقات التجارية و الاقتصادية و ما يتبع ذلك من سيادة ثقافتها وقيمها الخاصة²⁴، لأن اللغة ليست مجرد وسيلة للاتصال بين الأفراد والجماعات فأهميتها تفوق ذلك بكثير فهي تجسد الهوية الشخصية و الثقافية، لذلك يرى معارضو العولمة "أن الانجليزية لغة قاتلة تنتشر كالوباء الثقافي والحضاري في أنحاء العالم حاذفة الأصوات المميزة و الهويات الحضارية"²⁵.

فلاشك أنه أصبح للانجليزية حضور قوي واستعمال واسع في العالم العربي لذلك فإن دراسة هذه اللغة وممارستها طوعا أو كراهية يعني دراسة الحضارة والثقافة والفكر الغربي الذي يؤثر حتما على المجتمعات التي تتداولها، لهذا يسهل القول إن العولمة تعد أخطر تحد تواجهه اللغة العربية، فقد شق مشروع العولمة طريقه إلى التنفيذ من خلال التدخل في المناهج التربوية و التعليمية حيث باتت الكثير من المؤسسات تتخذ من الانجليزية لغة أساسية بدل العربية، وذلك لهيمنة النظام العالمي الجديد الذي يسعى لفرض لغة الأقوى بحكم القوة السياسية و الثقل الاقتصادي و السبق المعلوماتي، الأمر الذي يجعل من المجتمعات العربية اليوم قاصرة عن التصدي لمثل هذه الأخطار و هذه الهجمات التي تحدد المرتكزات الثقافية والحضارية للدول العربية²⁶.

ورغم أنها اللغة الرسمية في الأقطار العربية و لغة الدين و العبادة و التراث و الحضارة و الثقافة لقرون عديدة، فإنها تواجه أشرس التحديات في وجه جعلها لغة المجتمع و العلم و المعرفة و ذلك لأنها أبتليت بنخبة مغتربة و مستغربة لا تؤمن بكل ما هو وطني...تناقض سياسات الدول في تدبير المسألة اللغوية بالإقصاء الممنهج للغة العربية من مؤسسات الدولة و الفضاء العام و الخاص و غياب سياسة عمومية لتطور العربية و تنميتها كلغة رسمية أولى في البلاد، الحروب اللغوية و أعداء اللغة العربية من دعاة الفرنكوفونية و دعاة الأمازيغية و دعاة العامية²⁴.

ومن خلال هذا نرى أن الأزمة التي تعيشها العربية اليوم جاءت نتيجة عوامل داخلية و خارجية، تستدعي تدخلا من الدول العربية و مؤسساتها الثقافية و السياسية و الاقتصادية لإنقاذها من هذا الوضع الصعب.

خامسا. سبل و مقترحات لحماية اللغة العربية و تطويرها في إفريقيا:

إن الشائع بين البشر أنه لا سبيل للتوصل إلى معرفة الأشياء وكنهها إلا بتوسط اللغة، فهي الكيان الأكثر حضورا وارتباطا بالإنسان لكثرة استعماله لها و معاشرته إياها، فهذا الكائن الحي يعيش في الإنسان يترجم فكره و سلوكه و طرق عيشه و حياته، لهذا فإن وجوده مرتبط أساسا بوجود هذه اللغة لاسيما إذا كانت العربية، و التي تعتبر الوشاح الرابط بين الشعوب العربية و الإسلامية التي شاركت في ازدهار الثقافة الإسلامية كونها لغة القرآن، من هذا المنطلق لا بد أن يحدث الوفاق العربي و التضامن الإسلامي لتدعيم مكانة العربية و حمايتها و العمل على تطويرها و نشرها و تعليمها على نطاق واسع²⁷.

ولتجاوز هذه المعوقات لا بد من اتخاذ التدابير الآتي ذكرها :

1. التمكين اللغوي:

ويكون ذلك بتدريس الطفل لغته العربية منذ نعومة أظافره (مرحلة رياض الأطفال) بعيدا عن الازدواجية اللغوية و التركيز على لغته الوطنية عبر انغماس مبكر، أما الانفتاح على اللغات الأجنبية فيكون في سن التاسعة أو بعدها²⁸.

- تطوير اللغة و تنميتها عن طريق بعث الصناعة و الصياغة فيها، وهي تساعد على ذلك لما فيها من إمكانية الاشتقاق و المجاز و اجتهاد الانفتاح و التعريب، وهو الأمر الذي لم يرفضه مجمع اللغة

العربية، وله في العرب الأقدمين قدوة إذ قالوا "الترياق" و "القولنج" و هما كلمتان يونانيتان، الأول دواء مركب يطلق على ماله نفع عظيم، والثاني مرض معوي...ومن جانب آخر الوعي بأهمية نشر اللغة العربية خارج الوطن العربي، فهي أداة من أدوات الإنتاج "كالإقتصاد تماما"²⁹. لهذا تعتبر قضية إستراتيجية تمس الأمن الثقافي و الحضاري للأمة، فالقيام باستصدار قرارات مسؤولة تصنف الخطأ اللغوي على أنه جريمة يعاقب عليها القانون أمر بالغ الأهمية ولن يتأت هذا إلا بإحياء اللغة العربية و التخاطب بها، وجعلها لغة الكثير من العلوم وتحديد البحث اللغوي فيها، و إتاحة الفرصة لمخالطة الدراسات اللغوية الحديثة، والإفادة من معطياتها و وسائلها العملية بغية تطوير العربية³⁰، وتحمل الدول و المجتمعات العربية لمسؤوليتها كاملة في الحماية والتأهيل لهذه اللغة في مختلف ميادين الحياة أكانت الحياة العامة أو الحياة المعرفية أو الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإعلامية... وهذا للتصدي لموجة انتشار العامية المهتدة للعربية من خلال الإعلام، وإيقاف تحويل اللهجات المحلية من المستوى الشفوي إلى المستوى الكتابي في التعليم.

2. المحافظة على صفاء اللسان:

- مقاومة انتشار لغة التواصل الاجتماعي بين أبناء الأمة العربية وذلك بتعزيز الانتماء للأمة و المحافظة على صفاء اللسان العربي والعمل على انتشاره والاهتمام بمسيرة التعريب و الترجمة ودعمها، تنشيط المحتوى العربي ونشر البحوث والكتب على شبكة الانترنت . أضف إلى ذلك أن مواجهة العولمة المهتدة للهوية لا تتم إلا بالفعل الملموس انطلاقا من الواقع و بأدوات العصر من تقنيات وعلوم حديثة بدءا من تطوير إعداد معلم العربية في المدارس وتطوير المناهج على أسس علمية، وتفعيل البرامج التربوية اللغوية على شبكة الانترنت و الحواسيب والإقلال من التعليم الأجنبي والمدارس الأجنبية بين أبناء الأمة العربية. ولتجاوز الأزمة الداخلية والخارجية لهذه اللغة يقترح تقرير التنمية الإنسانية العربية لسنة 2003 جملة من المقترحات والحلول في أفق الدخول في دورة التنمية والحضارة من جديد³¹ و ذلك باتخاذ القرارات و التدابير الكفيلة باستعمال اللغة العربية في كل مجالات التواصل و التعليم بكل مراحل و أطواره و تخصصاته .

-وضع حد للسياسات اللغوية المزدوجة والقائمة على سياسة رسمية في القوانين والنصوص التشريعية التي تعتبر اللغة العربية لغة رسمية للدولة، وسياسة أخرى واقعية قائمة على الاستعمال الفعلي للغات الأجنبية، و الذي يكون أحاديا في المعاملات الاقتصادية والإدارية والتعليم العلمي والتقني الجامعي، وبالمقابل تبني سياسة لغوية تنظر إلى اللغة الوطنية الرسمية على أنها مسألة هوية وخصوصية وسيادة وحضارة وتاريخ مرتبطة بالتنمية الشاملة للوطن والأمة .

و من وسائل تطويرها أيضا في القارة السمراء ضرورة إنشاء معاهد لإعداد متخصصين في تعليم العربية للناطقين بغيرها على غرار معهد الخرطوم الدولي للغة العربية .

-الاهتمام بخلق نماذج ومناهج لغوية تتلائم والبيئة الإفريقية وتراعي جوانب الاختلاف، وهذا يتطلب الاستعانة بالمختصين بالمناهج وطرق التدريس وعلماء اللغة واللسانيات والتقنيات التعليمية.

3. إنشاء مراكز للتدريب اللغوي:

-العمل على تأسيس وإنشاء أقسام اللغة العربية في الجامعات الإفريقية، إن كانت هناك بوادر عمل من بعض المؤسسات التطوعية غير الحكومية فإن الأمر يقع على عاتق الحكومات وما يتبع ذلك تدريجيا من إنشاء و تأسيس كراسي بحثية للغة العربية في الجامعات الإفريقية، تكون مسؤولة عن إيجاد برنامج تدريسي ثابت لمعلمي العربية ترعاه وتموله المنظمات العربية التي تعنى بالتربية والثقافة لتتدمج الروابط الأكاديمية بين الجامعات الإفريقية والعربية وتقديم المنح للدارسين الراغبين في القيام بأبحاث تطويرية للغة العربية، وأيضا تشجيع الكتاب العربي بكل الوسائل وتشجيع قيام الجمعيات الأهلية لحماية العربية والدفاع عنها .

سادسا. خاتمة:

بعد هذا البحث القصير في اللغة العربية في إفريقيا، يمكن الخروج بالنقاط التالية :

-تعدد اللغات في إفريقيا راجع إلى تعدد الأجناس و القبائل أبرزها السواحلية والهاوسا والفولانية والماندنكية واليوربا والولوفية.

- انتشرت اللغة العربية في هذه القارة قبل مجيء الإسلام بفترات طويلة، وذلك عن طريق الجوار و الاحتكاك و التجارة والهجرات .

- ازدهار اللغة العربية هناك راجع لانتشار الإسلام و تنبيه من قبل الأفارقة ما أدى إلى إنشاء مجتمع عربي إفريقي وقيام حضارات ودول عريقة كمالى وتيمبكتو وغينيا وغيرها، وهذا الانتشار الكسبح راجع لعوامل دينية ولغوية وحضارية، ما جعل الأثر العربي بارز على نطاق واسع في اللسان والبناء والعمارة والطعام والعادات والتقاليد والأسماء وحتى على مستوى اللباس، لكن مع دخول الاستعمار الحديث للقارة تراجع استخدام اللغة العربية وهذا يعود لعدة أسباب منها:

- هدم الحضارة العربية عن طريق محاربة اللغة والدين والقرآن .
- إزالة الدول والإمارات الإسلامية من شرق القارة وغربها رغم صمود الأفارقة ومقاومتهم لهذا الاحتلال الديني الصليبي السياسي والاقتصادي وقد استعان بعدة حيل لمحو العربية منها :-
- منع دخول الكتب العربية، إلغاء الكتاتيب و المدارس القرآنية، فرض لغة المستعمر، تعذيب العلماء و المعلمين المسلمين، كتابة اللغات الإفريقية بالحرف اللاتيني، إحياء اللهجات العامة، إظهار اللغة بمظهر العاجز المتخلف عن الركب الحضاري، انتشار ظاهرة العولمة .
- لهذه الأسباب تقوم اليوم جهود لحماية اللغة العربية في إفريقيا و إعادتها لصورة المثلى التي كانت عليها من خلال بعض النقاط :-

- تطوير مناهج التعليم من الرياض إلى الجامعات
- تنمية اللغة العربية عن طريق الاشتغال عليها بالصناعة والصياغة
- التصدي لموجة انتشار اللهجات المحلية
- مقاومة انتشار لغة التواصل الاجتماعي التي تعكس صورة سلبية للمجتمعات العربية .
- التصدي لظاهرة العولمة من خلال تقنية وتطوير العلوم الحديثة
- إعطاء اللغة العربية مكانتها بجعلها اللغة الرسمية في البلاد العربية.
- ضرورة إنشاء معاهد متخصصة لإفريقيا لدراسة العربية وتشجيع القراءة و الكتاب العربي .

سابعا. الهوامش:

- 1- محمد المختار حبي، أثر اللغة العربية على اللغات الإفريقية، مجلة قراءات إفريقية، السودان، ع1999، 04، ص15
- 2- محمد العيد أبو منقة، اللغات في إفريقيا، مجلة ملتقى الجامعات الإفريقية، السودان، ص220
- 3- المرجع نفسه، ص200
- 4- المرجع نفسه، ص222
- 5- أحمد بن خليفة الصنهاجي، عروبة السنغال و إسلامه، مجلة الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، ع04، 1989-1990، ص102.
- 6- حنا كوكو عبد المجيد ادريس، اللغة العربية في خدمة شعوب غرب إفريقيا، مجلة الحضارة الإسلامية، وهران، ع01، 2012، ص24
- 7- محمد ماجد الدخيل، اللغة العربية والمسلمون، مجلة جامعة البلقاء، ع01، 2000، ص164
- 8- أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص66-67
- 9- نصر الدين الشيخ بو هني، العربية ومكانتها بين الأفارقة وغرب إفريقيا، مجلة اللغة، الكتاب الخامس، ع01، 2000، ص85
- 10- محمد العيد أبو منقة، اللغات في إفريقيا، ص20، مرجع سابق
- 11- المرجع نفسه، ص22
- * السودان هو المنطقة الممتدة في قارة إفريقيا جنوب مصر وليبيا والقطر الجزائري والقطر المغربي من البحر الأحمر شرقا إلى بحر الظلمات المحيط الأطلسي غربا، ينظر عمر فروخ تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1983، ط1، ج6، ص36
- 12- المرجع نفسه، ص39
- 13- بول مارتي، كتنة الشرقيين، ترجمة محمد محمود ولد داداي دار العربية، بيروت، 1992، ص33
- 14- رجب نصير الأبيض، علاقات العرب بالسودان الغربي، مجلة كليات الآداب جامعة الفاتح، طرابلس، ع08، 2008، ص65

- 15- عبد الله عبد الرزاق، فصول في فقه العربية و تاريخ اللغات السامية ،دار الفكر العربي ، القاهرة،2003،ص21
- 16- المرجع نفسه،29
- 17- عبد الله عبد الرزاق ،انتشار الاسلام في غرب افريقيا،دار الفكر العربي، القاهرة 2006،ص205
- 18- رجب نصير الأبيض،علاقات العرب بالسودان الغربي،ص58،مرجع سابق
- 20- خالد بشير،العرب في إفريقيا تفاعل حضاري لم ينقطع،مجلة حفريات،الأردن،م 05 ع،04،ص162
- 21- علال الفاسي ،النقد الذاتي ،القاهرة،1952،ص33
- 22- عبد القادر الفاسي الفهري ،اللغة و البيئة،منشورات الزمن،المغرب،2003،ص15
- 23- محمد الخضر حسين،دراسات في العربية وتاريخها، دار الفتوح،دمشق،ط1960،02،ص160
- 24- عبد العلي الودغيري، اللغة العربية في منطقة جنوب الصحراء،مجلة الإسلام اليوم،المغرب،ع 20 ، 2005، ص102
- 25- نصر الدين الشيخ بو هني، العربية ومكانتها بين الأفارقة وغرب إفريقيا ،مرجع سابق ،ص25
- 26- جعير محمد، اللغة وتحديات العولمة، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية الأردن،ع13،جانفي 2015،ص40
- 24- المرجع نفسه،ص41
- 27- حلمي أبو الفتوح عمار، اللغة وتحديات العولمة،المجلة التربوية، القاهرة ،ع54، 2018،ص09
- 28- بوجمعة واعلي، أزمة اللغة العربية، مجلة جامعة ابن طفيل،ع01، 2015،المغرب،ص80-90
- 29- عبد الله الجباري ، اللغة العربية في الثقافة الإسلامية، مجلة الإسلام اليوم المغرب 2015، ع08،ص25-27
- 30- المرجع نفسه ،ص27
- 31- أبو بكر شعيب ،اللغة العربية في إفريقيا،الواقع و التطلعات ،مجلة قراءات ،القاهرة،ع05، 2010،ص85